

الرَّسَالَةُ ٣٠٨

بِمَاذَا نَفْسٌ أَنْ الْإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ؟

(Arabic – What does “Faith without work is dead” mean?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي
وسؤال هذه الحلقة : بماذا نفسٌ أن الإيمان بدون أعمال مَيِّتٌ؟
يجيبنا على هذا السؤال : Dr. Ron Rhodes
في كتابه : The Complete Book of Bible Answers

لقد جاءَ برسالة يعقوب الأصحاح الثاني ذلك النصُّ الكتابي: مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنَّ لَهُ إِيْمَانًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ؟. هَلْ يَقْدِرُ الْإِيْمَانُ أَنْ يُخْلِصَهُ؟. إِنْ كَانَ أَخٌ وَأَخْتٌ عَرِيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقَوْتِ الْيَوْمِيِّ. فَقَالَ لَهُمَا أَحَدَكُم: امْضِيَا بِسَلَامٍ اسْتَدْفِينَا وَاشْبَعَا. وَلَكِنْ لَمْ تَعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ فَمَا الْمَنْفَعَةُ؟. "هَكَذَا الْإِيْمَانُ أَيْضًا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ. لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَنْتَ لَكَ إِيْمَانٌ وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ. أَرْنِي إِيْمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ. وَأَنَا أَرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيْمَانِي. أَنْتَ تَوْمَنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعُرُونَ".^١

وجاءَ برسالة يعقوب الأصحاح الثاني بالعدد السادس والعشرين قوله: "لأنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ. هَكَذَا الْإِيْمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ". ولقد شرحَ Martin Luther ذلكَ بقوله: "إِنَّ الْأَصْحَاحَ الثَّانِي مِنْ رِسَالَةِ يَعْقُوبَ لَا يُعْلِمُ أَنَّ الْخَلَاصَ بِالْأَعْمَالِ. بَلْ بِالْحَرِيِّ إِذَا قَالَ شَخْصٌ مَا: إِنَّ التَّنْبِيرَ بِالْإِيْمَانِ وَالْإِيْمَانُ فَقَطْ. فَذَلِكَ الْإِيْمَانُ يُعْتَبَرُ ادِّعَاءً. وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ: إِنَّ الْإِيْمَانَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الَّذِي يُثْمِرُ أَعْمَالًا صَالِحَةً فِي حَيَاةِ الشَّخْصِ الَّذِي حَصَلَ عَلَى الْخَلَاصِ". إِنَّ يَعْقُوبَ قَدْ كَتَبَ رِسَالَتَهُ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ اصْبَحُوا مَسِيحِيِّينَ. فَقَدْ اسْتَهَلَّ رِسَالَتَهُ بِتِلْكَ الْمَقْدِمَةِ: "يَعْقُوبَ عَبْدُ اللَّهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يُهْدِي السَّلَامَ إِلَى الْإِثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ". إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا بَعْضُهُمْ لَا يَسْلُكُ السُّلُوكَ الْمَسِيحِيَّ. بَلْ كَانُوا إِيْمَانَهُ مُجَرَّدًا كَلَامًا يَنْقُوهُ بِهِ".^٢

كَانَ قَصْدُ يَعْقُوبَ مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مِنْ "الْإِثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا الَّذِينَ فِي الشَّتَاتِ" عِلَاجَ تِلْكَ الْحَالَةِ. وَتَبْصِيرَهُمْ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْإِيْمَانِ الْحَقِيقِيِّ وَالْإِيْمَانِ الْمُرْتَبِفِ. وَيُبْضِحُ لَهُمْ أَنَّ الْإِيْمَانَ الْحَقِيقِيَّ يُعْرَفُ بِثَمَرِهِ. وَالْإِيْمَانُ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَرْتَبِيٍّ يَكُونُ لَهُ الدَّلِيلُ الْمَرْتَبِيُّ الْوَاضِحُ لِلْجَمِيعِ. وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ: إِنَّ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ هِيَ الْبُرْهَانُ وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ إِيْمَانًا شَخْصٌ مَا حَيٌّ فَعَالٌ مُتَوَاجِدٌ. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ اعْتَنَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ أَظْهَرُوا لِلْآخَرِينَ إِيْمَانًا مُزِيْفًا.. وَكَانَ الْإِعْتِرَاضُ عَلَى فَخْرِهِمُ الْكَاذِبِ بِذَلِكَ الْإِيْمَانِ الْمُرْتَبِفِ.^٣

إِنَّ مُجَرَّدَ إِعْلَانِ الْإِنْسَانِ عَنِ نَفْسِهِ بِلِسَانِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ لَا يَكْفِي. لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي هِيَ ثَمَرُ الْإِيْمَانِ هِيَ الَّتِي تَقِيْمُ الدَّلِيلَ عَلَى وُجُودِ الْإِيْمَانِ الْخَالِصِ الْحَقِيقِيِّ. وَالْإِيْمَانُ غَيْرُ الْعَامِلِ إِيْمَانٌ بِلَا قِيَمَةٍ طَالَمَا كَانَ غَيْرَ مُثْمِرٍ. وَيُوصَفُ بِأَنَّهُ إِيْمَانٌ مَيِّتٌ لِأَنَّ لَاحِيَاةً فِيهِ. رَبِّمَا نَتَوَقَّعُ مِنْ جَنَّةٍ هَامِدَةٍ أَنْ تَدْبَ فِيهَا الْحَيَاةَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ. وَلَكِنْ لَوْ بَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا بِلَا حَرَكَاتٍ وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهَا آيَةٌ عَلَامَةٌ تُشِيرُ إِلَى الْحَيَوِيَّةِ. أَيْ لَا خَفَقَانَ فِي الْقَلْبِ وَلَا شَيْءَ يُبْنِي عَنْ بَوَائِدِ لِاحْسَاسٍ أَوْ شُعُورٍ. فَإِنَّا نَحْكُمُ عَلَى تِلْكَ الْجَنَّةِ أَنَّهَا لَمَيِّتَةٌ. إِنَّ الْإِدِّعَاءَاتِ الْمُرْتَبِفَةَ تَحْرُسُهَا الْأَدِلَّةُ وَالْبُرَاهِينُ الدَّامِغَةُ. فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ يَسْكُنُ فِيهِ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ. وَالرُّوحُ الْقُدُّوسُ لَهُ ثَمَرُهُ.^٤

لقدَ قدَّمَ يَعْقُوبُ فِي رِسَالَتِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ كَمَثَلٍ حِينَ كَتَبَ بِالْأَصْحَاحِ الثَّانِي الْعَدَدَ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ قَائِلًا: "أَلَمْ يَنْبَرِّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُوْنَا بِالْأَعْمَالِ إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَدْبُوحِ؟". لَمْ يَقْصُدْ يَعْقُوبُ بِذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَنْبَرَّرَ أَمَامَ اللَّهِ بِأَعْمَالِهِ وَلَيْسَ بِإِيْمَانِهِ. لِأَنَّ يَعْقُوبَ بِذَلِكَ الْمَثَلِ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّنْبِيرِ أَمَامَ اللَّهِ. بَلْ بِالْآخَرَى لِيُعْطَى بُرْهَانًا

استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة يعقوب ٢: ١٤ - ١٩

^٢ رسالة يعقوب ٢: ١٥ - ١٦

^٣ إنجيل متى ٥: ١٦

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني غلاطية ٥: ٢٢

للناس. وذلك واضح من مجرى الحديث المذكور بالرسالة. فهو يبين أنه يلزمنا إظهار الإيمان أمام الناس بالأعمال. ولقد كتب بالعدد الثامن عشر هذه الكلمات: "لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال. أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني". يعنى بذلك أنه يجب أن يكون إيماننا شيئاً مرتباً من الآخرين بالأعمال التي تشهد. ثم يقول: "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً فعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون". نلاحظ أن يعقوب في رسالته بالأصحاح الثاني قد وضح أن إبراهيم تبرر أمام الله بالإيمان وليس بالأعمال. إذ قال بالعدد الثالث والعشرين: "وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله". عندما تكلم يعقوب عن إبراهيم أنه تبرر بالأعمال كان يتكلم عن العمل الذي عمله والذي كان ممكناً أن يراه الناس. وقد أشار إلى ذلك بتقديم إبراهيم لابنيه اسحق على المذبح بالعدد الحادي والعشرين والثاني والعشرين^١.

لقد تكلم يعقوب عن تبرير الإنسان أمام الناس ليروه. أما بولس الرسول فقد تكلم عن تبرير الإنسان أمام الله. فبرسالته إلى مؤمنى رومية الأصحاح الرابع كتب يقول: "وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً". وبرسالته إلى تيطس الأصحاح الثالث كتب يقول: "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". وبرسالته إلى مؤمنى أفسس الأصحاح الثاني كتب يقول: "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال. كيلا يفخر أحد". وبالرسالة إلى العبرانيين يضع كاتبه أمثلة من العهد القديم لأبطال الإيمان قائلًا: "بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قابيل. فيه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابته. وبه وإن مات يتكلم بعد. بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله. بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد. خاف فبنى فلما خلاص بيته. فيه دان العالم وصار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان. بالإيمان إبراهيم لما دعى أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج. وهو لا يعلم إلى أين يأتي".^٢

وقد نتساءل: كيف نوفق بين تعليم بولس وتعليم يعقوب؟ كل منهما يوضح المفهومين بأسلوبه. فبينما يركز بولس على جذور التبرير أنه بالإيمان بما عمل الله من أجل تبريرنا. يركز يعقوب على ثمار التبرير أي الأعمال الصالحة كي يراها الناس. فبولس الرسول برسالته إلى مؤمنى أفسس الأصحاح الثاني علم أنه بالنعمة خلصنا بالإيمان وذلك ليس منا هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفخر أحد. ثم استطرده بالعدد التالي يقول: "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فاعدها لكي نسلك فيها". وكتب بولس الرسول في مقدمة رسالته الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى يقول: "نشكر الله كل حين من جهة جميعكم ذاكين إياكم في صلواتنا متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا".^٣

من هنا ندرك أن الإيمان لا يكون إيماناً مسيحياً إذا كان عقيماً بلا ثمر. ولا يقف الإيمان منفرداً بأي حال. بل يكون مقترناً بالعمل الصالح متأزراً معه. والمحبة لا تكون محبة صادقة. إن لم يظهر المؤمن نفساً راضية بالتعب والتضحية في سبيل الآخرين دون انتظار لمقابل. والرجاء إن لم ينشئ في قلب المؤمن صبراً وثباتاً. فبناءً على الروحية يكون متعذراً. فليتنا نعمل بإخلاص ليقوى إيماننا. ونتعب من أجل الآخرين في محبتنا. ونصبر غير متدمرين وبهذا يتحقق رجائنا. ونثق بكل يقين في مواعيد الرب المشجعة لنا. ونحيا خاضعين لروح الله الساكن فينا. ونسترشد بكلمة الله الحية الفعالة. متخذين إياها سراجاً لأرجلنا ونورا لسبيلنا.^٤

عزيزى القارئ.. لبتك تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أشكرك من أجل حبك العجيب الذى تمثل فى بذل الابن الوحيد ليفتدنى من الهلاك الأبدى. أشكرك من أجل هبة الحياة الأبدية فى سمائك البهية. زد إيماني ربى. وأيدنى بقوة من لذك. كى أحيا حسب مشيئتك. متمماً إرادتك. عاملاً بوصاياك. مُجداً لاسمك القدوس. أرفع صلاتى فى اسم يسوع البار. مُتكلاً على وعدك. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر التكوين ٢٢: ١-١٩

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٤: ٥ ، وإلى تيطس ٣: ٥ ، وإلى مؤمنى أفسس ٢: ٨-٩ ، الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٤-٨

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨-١٠ ، وبرسالته الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ١: ٢-٣

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ١٢: ١٢ & ١٨: ١٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ١١ ، سفر المزمير ١١٩: ١٠٥